

فانظر حرسك إله كيف يتلاعب العرب بالألفاظ وكيف تتسع اللغة عندهم. وكيف يبعد مجرى الكلام عن ينبوعه ومصدره وكاد ينسيك الأصل الذي أخذ عنه. كل ذلك من الأسرار الغامضة يتلذذ بالاطلاع عليها كل من له ذوق بهذه اللغة الشريفة البعيدة الغور. وإذا قد اطلعت على أصل لفظة الورق وعنى أنها من الفارسية علمت علم اليقين أن معناها كل قطعة من قطع المسكوكات كما تقول بالفرنساوية ثم أطلقت على دراهم الفضة أو على مطلق الدراهم أن فضية أو ذهبية أو نحاسية بشرط أن تكون قطعة معدن مضروب لا غير.

هذا ما أردنا إيراده في هذا الباب ولنا عدة شواهد من هذا القبيل.

بغداد // سانسنا

رسائل الانتقاد

تابع لما سبق

قال أبو الريان ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لأنه يخرج عن نعتة شعراً وليس مما يقع لمن نعت بشاعر. فأما الاقواء. والسناد. والأكفاء. والزحاف. وصرف ما لا ينصرف فكل ذلك يستعمل الآن السالم من جميع ذلك أجمل وأفضل قال ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها مثل قول الكمي:

حتى تكامل فيها الدل والسنب

وكما قال بعض المتأخرين في رثاء:

فإنك غيبت في حفرة ... تراكم فيها نعيم وحرور

وإن كان النعيم والحرور من مواهب أهل الجنة فليس بينهما في النفوس تقارب. ولا لفظة

تراكم مما يجمع بين الحرور ولا النعيم. ومثله قول بعضهم:

والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدر

لعاد تفاح الحدود بنفسجاً ... لشني وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لأن التفاح ثمرة والبنفسج زهرة. وقد أجاد في جمعه بين الكافور والعنبر لأنهما من قبيل واحد. ولو قال:

لعاد ورد الوجنتين بنفسجاً=لشني وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف. وأحسن الرصف. لكون الورد من قبيل البنفسج. فهذا النوع فافتقد. وهذا الشرع فاعتمد.

قال أبو الريان ولفضلاء المولدين سقطات مختلفات في أشعارهم أذكرك منها في أشياء لتستدل بها على أغراضك لا لطلب الزلات. ولا لاقتفاء العثرات. كان بشار تتباين طبقات شعره فيصعد كبيرها. ويهبط قليلها كثيرها. وكذلك كان حبيب ابن أوس الطائي فإذا سمعت جيدهما كذبت أن رديهما لما. وإذا صح عندك أن ذلك الردي لهما أقسمت أن جيدهما لغيرهما. قال ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة مثل قول حبيب أول قصيدة:

هن عوادي يوسف وصواحيبه ... فعوماً فقدماً أدرك الثأر أو طالبه

ومثل قول ديك الجن أول قصيدة:

كأنهايا كأنه خنل الخ ... لة وقف الهلوك إذ بغما

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو رديء قال ويعاب أيضاً الافتتاحات المتطير بها. والكلام المضاد للغرض كابتداء قصيدة أبي نواس التي أنشدها الفضل بن يحيى خالد البرمكي يهنيه بينياته الدار الجديدة فدخل إليه عند كمالها وقد جلس للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فأنشده:

أربع البلى إن الخشوع لبادي ... عليك وإني لم أختك ودادي
فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه وتناظر الناس بعضهم إلى بعض ثم تهادى فختم الشعر
بقوله:

سلام على الدنيا إذا ما فُقدتم ... بني برمك من راثين وغادي
فكمل جهله وتم خطاه وزاد القلوب المتوقعة للخطوب سرعة توقع. وأضاف للنفوس
المتوجعة بذكر الموت شدة توجع. وأراد أن يمدح فهجاً. ودخل ليسر فشجاً قال وقريب
من هذا ما وقع للنتبي في أول شعر أنشده كافوراً:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا
فهذا خطاب بالكاف بفتح ولا سيما في أول لقية. وفي ابتداء واستعطاف ورقية. وفي هذا
البيت غير هذا من العيوب سنذكره بعد.
ووقع مثل هذا من قبح الاستفتاح في عصرنا وذلك أن بعض الشعراء أنشد بعض الأمراء
في يوم المهرجان فقال:

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... وجه من أهوى ووجه المهرجان
فأمر بإخراجه واستطار بافتتاحه وحرمه إحسانه قال أبو الريان ولو كان هذا الشاعر
حاذقاً لكان إصلاح هذا الفساد أيسر الأشياء عليه وذلك بأن يعكس البيت فيقول:
وجه من أهوى ووجه المهرجان ... أي بشرى هي لا بل بشريان
قال ويصح جداً الإتيان بكلمة القافية معجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وإنما هي مفردة
لحشو القافية كقول بعضهم:

فبلغت المنى برغم أعاديك ... وأبقاك سالماً رب هود

فأنت ترى غثائفة هذه القافية وإله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء فخصَّ هوداً عليه السلام وحده لضعف نقده وعجزه عن الإتيان بقافية تليق وتحسن.
قال ويقبح أيضاً الجفاء في النسب على الحبيب والتضجر ببعده. وغلظة العتاب على صده. كقول أبي نواس:

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

فان كنت لا خلاً ولا أنت زوجة ... فلا برحت منا عليك ستور

وجاورت قوماً لا تراور بينهم ... ولا قرب إلا أن يكون نشور

فلم أسمع بأوحش من هذا النسب. ولا أخشن من هذا التشبيب. وذلك قوله إن لم تكوفي لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور لنتراب عليك. ولا كان جارك ما عشنا نحن إلا الموتى الذين لا يتراورون ولا يتواصلون إلى يوم النشور على أن كلامه يشهد عليه بأنه شاك وإنما المعروف في أهل الرقة والظرف. والمعهود من أهل الوفاء والعطف. أن يفلدوا أحباهم بالنفوس. من كل مكروه وبوس. فأين ذهبت ولادته البصرية وآدابه البغدادية. حتى اختار الغدر على الوفاء. وبلغت به طباعه إلى أجفاء الجفاء. فاعلم هذا وإياك أن تعمل به.

قال ومن عيب الشعر السرق وهو كثير الأجناس. في شعر الناس. فمنها سرقة ألفاظ. ومنها سرقة معان. وسرقة المعاني أكثر لأنها أخفى من الألفاظ ومنها سرقة المعنى كله. ومنها سرقة البعض. باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو أحسن المسروقات. ومنها مسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى وهو أقبحها. ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص والفضل في لك للمسروق منه ولا شيء للسارق كسرقة أبي نواس في هذه القصيدة التي ذكرنا معنى أبي الشيص بكماله. قال أبو الشيص:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

فسرقة الحسن بكماله فقال:

فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

فهذا على أن بيت أبي الشيصر أحلى وأطبع ومع حلاوته جزالة. وقد ذكر عن الحسن أنه قال ما زلت أحسد أبا الشيصر على هذا البيت حتى أخذته منه وسرقة المعاصر سقوط همة. وهذه القصيدة يناضل أصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصماءه مقرين بأن ليس له أفضل منها. ولا لهم إلى سوى هذه القصيدة معدل عنها. فقس بفهمك واعمل فكرك على ما وصفناه من أبواب السرقة ما وجدته في أشعار لم أذكرها يظهر لك جميع ما وصفناه. ويبدو

لك جميع ما رسمناه. قال وما يقع في عيوب الشعر ويغفل الشاعر عنه ويجوزه الأمر فيه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ لذي احتجى فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد أيضاً عنه مثل قول المتنبي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام على أنه إنما شكا داءه ووصفه بالعظم فعاد شاكياً نفسه وجعلها أعظم الداء لأنه أراد كفى بدائك داءً فغلط وقال كفى بك داءً فصار كفى بالسلامة داءً فالسلامة هي الداء يريد طول البقاء سبب للفناء. وقال الله تعالى وكفى بنا حاسبين فالله هو أعظم شهيد فجعل المتنبي نفسه أعظم الداء ولم يرد إلا استعظام دائه وإصلاح هذا الفساد. وبلوغه إلى المراد. أن يقول:

كفى بالمنايا أن تكن أمانيا ... وحسبك داء أن ترى الموت شافيا

فيعود الداء المستعظم كما أراد تزول خشونة ابتدائه. وشدة جفائه. إذ خاطب للمسدوح بالكاف فجعله داء عظيماً في أول كلمة سمعها منه. وقد تأدب خواص الناس وكثير من عوامهم في مثال هذا المكان فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضاً بما يخشن ذكره قلت للأبعد يا كذا أو كذا للأبعد.

ومن عيوب هذا القسم أيضاً أن قائله قصد إلى سلطان جديد وإلى مكان يحتاج فيه إلى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك نوه به أعني سيف الدولة وأغناه بعد فقره وشرفه ورفعته. وأدنى موضعه. فورد كل كافور هذا في مرتبة شريفة. وخطبة منيفة. فجعل بجعله يصفه في أول بيت لقيه به أنه في حالة لا يرى منها المنية. أو يرى المنية أعظم أمنية. وعلم كافور بذكائه ووصول أخبار الناس إليه أنه في حالة خلاف ما قال وأنه كفر النعمة من المنعم عليه وأراه أن جميع ما عامله به من الجاه الواسع. والغنى القاطع حقير لديه. صغير في عينيه. فعلم كافور في هذا الوقت أنه ممن لا تزكو لديه الصنيعة وإن عظمت. ولا تكبر في عينيه المواهب وإن جسست. ولم يكن في خلق كافور من الصبر على اتساع البذل. ولا من الرغبة في أهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة من ذلك فزهد فيه بعد رغبة وعلله بالقليل. وشاوقه بالجزيل. ورأى المتنبّي أن الأسود ليس له في قلبه من الحب والقرب ما له عند سيف الدولة فلم يدل عليه ولا كثر من التعتب والعتاب ما يعطفه عليه فأضاع وضاع. وكان يتوقع الإيقاع. ولكفران النعم نقم. ثم نجاه ركوب ظهر الحرب وأقبل يعترف لسيف الدولة بالذنوب. وكان لحنه وشعره شريفين. وعقله ودينه ضعيفين. ومع ذلك فسقطاته كثيرة إلا أن محاسنه أكثر وأوفر. والمرء يعجز لا الخالة. وكان يميل إلى تعقيد الكلام ويعتمد على علمه بقبحه فيقول من ذلك ما يصف به ناقته:

فعبيت تسند مستنداً في نيتها ... أسادها في المهمة الأنضاء

يقول في المدح:

أنى يكون أبا البرية آدم ... وأبوك والثقلان أنت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها والبيت لا يتعلق بشيء مما قبله فيما يظهر ولا فيما بعده بشيء:

كأنك ما جاودت من بان جوده ... عليك ولا قاومت من لم تقاوم

ومثل هذا كثير وهذه الأجناس من أبيات وإن ظهرت معانيها بعد استقصاء. وأطاعت غوامضها بعد استعصاء. فهي مذمومة السلك وإن اطلعت منها على أجزل الإفادة فكيف إذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة. وكان أيضاً يغفل عن إصلاح أشياء من كلامه على قرب ذلك من الفهم. مثل قوله يرثي أخت سيف الدولة:

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب ... كناية بهما عن أشرف النسب

فجعل يا أخت خير كناية عن أشرف النسب والكناية لا تكون إلا لعل تتسع فيها التهم لأن الكناية ستر وتعنية فنا بال شرف النسب يورى عنه تورية المعائب. ويكنى عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب. وقد غفل عن إصلاح هذا بلفظ فصيح. ومعنى صحيح. قد كاد يبرز من الجنان. إلى طرف اللسان. وهو لو فطن إليه:

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب ... غنى بهذا وذا عن أشرف النسب

قال أبو الريان وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء اخيدين من التقصير والغفلة والغلط وغير ذلك كافية ومغنية عن إيراد ذلك وإن لقيتها بجودة بحث وصحة قياس. لم تحتاج إلى كشف عيوب أشعار الناس. ولعل قائلًا يقول مال عنى هؤلاء وترك سواهم لميله على من بكت. ولتفضيله من عنه سكت. فقل لمن قال ذلك الأمر،

عل خلاف ما ظننت لم أذكر إلا الأفضل فالأفضل. والأشهر فالأشهر. إذ كانت أشعارهم هي المروية.

فالحجة بهم وعليهم هي القوية. فقد نقلته علي من ميلي عليهم. إلى ميلي بالحق إليهم قال أبو الريان فأما نقد المستحسن فتشيله لك يعظم ويتسع لكثرة فلا يسعنا إيراده ولكن ما سلم من جميع ما أوردناه فهو في حيز السالم. ثم تتسع طبقات الجودة فيه. وأحسن منه ما اعتدل مبناه. وأغرب معناه. وزاد في محمودات الشعر عل سواه. ثم يمدح الأدون فالأدون بمقدار انحطاطه إلى حيز السلامة. ثم لا مدح ولا كرامة.

قال محمد فقلت لله درك يا أبا الريان فما ألين جانبك. وما أقرب غائبك. وما ألح طالبك. وما أسعد صاحبك. فقال أنجح الله مطالبك. وقض مآربك. وصفى من القذى مشاربك. وبث الحواضر والبوادي مناقبك.

تمت المقامة المعروفة بمسائل الانتقاد

بنطف الفهم والاقتصاد

والحمد لله أولاً وآخراً وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

نفس المرأة

انصرفت أفكار الباحثين إلى درس طبائع المرأة ومميزاتها الجنسية وخلاتقها الخاصة على أثر ما كان من هوض المرأة لمباراة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوقها بعد ذلك إلى مشاركته في الحقوق السياسية فتوفر على هذا البحث جماعة من العلماء الأعلام عنوا بتسحيصه وتجريده مما لصق به من خرافات الأقدمين وأوهامهم جارين على أسلوب علمي لا يدع مجالاً للنظن والشبهات العالقة بآراء الأقدمين والساذلة على الحقيقة ستاراً من الغلو ينهض بالمرأة إلى مستوى الملائكة أو يحطها إلى دركات الجحيم ومن الغريب أننا لا نجد باحثاً